توجيه الفرد والامة

— ١٠ —

بقلم : الاستاذ هادي القصاص

فهو اليوم بحاجة الى من يسقي شجرة آماله التي أيبسها ظلام الحياة في عينيه ، ويكسوها ثوب نضارها الذي سلبته الخيبة منه ، فهل تبعث الحياة رسولها الامين لاحياء الأمل في نفس الطالب الذي كتبت عليه الاقدار أن سلبته الخيبة منه ، فهل تبعث الحياة رسولها الامين لاحياء الأمل في نفس الطالب الذي كتبت عليه الأقدار أن يصدم تلك الصدمة العنيفة ، فليست غرس رجائه ، وشجرة آماله ؛ وانا الى ذلك لمنتظرون؟.

وإن وضع المادة المصرحة بحرمان من تجاوز عمره الـ (٢١) سنة من اكمال دراسته في المدارس الاعدادية تحجير على الثقافة وتحديد لسير التعليم في البلاد ، ولا زلنا نريد أن نكون كأمة تريد أن تقبض على هام الثريا ، وتناطح الجوزاء ، لتأخذ محلها السامي من الحياة بين الأمم ؛ يجب أن نوسع دائرة الثقافة ، ولا نجعل الى التعليم حداً ، يستلزم الركود في الثقافة والنبوغ

والامة التي تريد أن تشاطر الامم الحية في الحياة الخالدة يجب أن تشق لها طريقاً ؛ ينتهي بها الى ارفع درجة من الرقي وهذا التحديد يعرقل سير الأمة الثقافي ، ويمترى النبوغ دور الخناق ؛ ويختم بالموت حياته ، وهو بعد لم يستنشق نور الحياة ، فحينئذ يكون نصيب الأمة الحرمان من كل شيء ، ولا ندري لما ذا لم يتعرض معاليه الى هذه النقطة ؛ فهل كان من رأيه وضع هذه المادة المجحفة بحقوق من تجاوز عمره الـ (٢١) وانها من باب التلافي قبل أن يصل العراق الى درجة التخمة في الثقافة .

ان هذه المادة أول بوادر الشر التي يراد تحقيقها ؛ وكثيراً ما يدور في خلد الارستقراطيين وعلى ألسنتهم محاولة غلق الكليات لأنها تخرج من يزاحمونهم في مناصب الدولة ؛ والارستقراطيون يرونها وقفاً عليهم ، او ملكاً لهم قد سجلت باسمائهم في دائرة الطابو ، وذلك خلاف رغائبهم ؛ فوضعوا تلك مقدمة لالغاء المعاهد الثقافية العالية ؛ وهذا لم يكن تخرصاً ؛ كلا !! ولاظن وهم ، وانما سمعنا ذلك غير مرة فاهوا به دون تحاشي او حياء حتى من ضمائرهم .

وهناك شيء آخر له أثره في حرمان الطبقة الضعيفة من الثقافة العالية فما هو زيادة الاجور ، فانها قد اثقلت كاهل الطلاب ، بحيث لا يستطيع ان يقبل عليها ، ويتقدم اليها غير ابناء المثرين سيما في كلية الحقوق والطب ، وهذا يكشف لنا أن المدرسة استخدمت في غير القصد الذي أسست لأجله ، هو خدمة الطبقة الثرية ، بينما المدرسة لم تؤسس الا للخدمة العامة دون أن تجعل فوارق لطبقة دون أخرى ، فهي تنظر الطبقة العاملة والضعيفة ، كما تنظر الطبقة الثرية ، ولا تجعل امتيازات وحقوقاً لواحدة على أخرى ، ونظام كهذا المجحف بحقوق الطبقة العاملة والضعيفة لا شك يحدث فساداً في الوضع ، وشللا في أعضاء المجتمع ، وينذر أيضاً بالانفجار .

ثم صرّح معاليه اذ قال [إنما أقصد ايجاد مشاريع ، وفتح أبواب رزق لكل متعلم ومتعلمة ... ايجاد مدارس ثلاثة تخرج كل واحدة منها الف طالب ؛ يدرسون علوم الزراعة العملية ، وتربية المواشي بما في ذلك من صنع الالبان ؛ وتجفيف الثمار ؛ ومنحنا لكل متخرج مع شهادته المدرسية التي تنطق بنجاحه سنداً بملكيته ثلاثين مشارة من الارض ، وهيأنا لهذا الطالب فوق هذه الثلاثين مشارة داراً بسيطة ، ومنحناه بضع أبقار أصيلة ، وبضع نعجات ومعزات وطيور أهلية من النوع الجيد ، تضمنا للطالب ايرادا سنوياً ، لا يقل عن الـ ١٥٠ ديناراً بدل الـ ٧٢ ديناراً التي تدرها عليه الوظيفة ، فما لو ساعده الحظ ونال وظيفة حكومية] .

لقد عالج معاليه الوضع ، غير ان هذا العلاج فيه شيء من النقص ، وسنشير اليه عندما ينتهي بنا الكلام اليه ، وعلى كل فان ذلك يحتاج الى تطبيقات عملية ، فقد مضى زمن ، وحياتنا العملية خيال في خيال ؛ لم تخرج عن دائرة التشريع الى حيز العمل .

وقد انتابت العراق (نوبة) مزمنة في اقتصادياته منذ

الحكم العثماني ، من تشكيلات الحكم الوطني ؛ ولم يتسع افق الزراعة الا اتساعا بسيطاً لم يكفل حياة الشعب ، كما يتطلبه الواجب ، مع ان تربة العراق خصبة جداً ، وعظيمة الانتاج ؛ ومن سبر تأريخ العراق ، يدرك كيف كانت تربته تدر بالخيرات فقد كان فيما قبل الاسلام يسمى (السواد) وما ذلك إلا ان ارضه كانت عامرة بحيث لم يك شبر من الارض العراقية غير مزروع .

وأما في العصر الاسلامي فقد كانت المرأة تسير من الكوفة الى الشام تحت ظلال الاشجار الباسقة المتنوعة ، وهي لا تحمل معها غير مكتل يحوي ملابسها ، ولايهمها امر الغذاء ، لأن على جانبي الطريق مباني شاهقة ، وقصوراً فخمة ، تضمها الحدائق الغناء ، والبساتين المثمرة بانواع الثمر الشهي .

والذي اصار في العراق جنة زاهية زاهرة ؛ هو اقامة السداد المتعدد في كل من الفرات ودجلة ، تلك السداد التي حرمت البحر ان ينال غير الفضلة — وان شئت فقل — غير الوشل ، اما اليوم فهذا الماء الذي يجري ذهباً وفضة ، يبتلعه فم البحر دون ان نتاض عنه بغير الخسران .

وأما المضخات التي تكالب عليها المزارعون ؛ فهي أشد على العراق من السقم على البدن ؛ لا بل هما كداء السل ، فكما تختم حياة المصاب به بالموت ، تنتهي ثروة اصحاب المضخات بالفناء ، لأن نتاجها الزراعي تستهلكه فيما تستورده من الغرب من الأدوات الحديدية عوض ما يكسرمنها ، ومن الدهن وزيت النفط

فالواجب يحتم ابادة المضخات ، حفظاً للبقية الباقية من الثروة ان كانت ، قبل ان تنتقل الحال من سيء الى أسوء فحينئذ يتسع الرتق على الراقع .

والطريق التي تبيد المضخات ؛ وتعمر الأرض الخراب التي هي اضعاف الارض المعمورة من العراق ، هي اقامة السداد وشق الجداول والانهار لري الارض الخراب ، فتصبح كما كانت قبل الاسلام وبعده ؛ فقد كان في ذلك العهد عدة انهار ؛ تسقي الأرض الممتدة من (هيت . وعانة) حتى النجف ؛ ثم الى جهة الغرب نهر العذيب ، ونهر السدير ؛ وأما (خندق سابور)(١) بلسان التأريخ فقد كان يمتد من هيت ، ويمر بالنجف ، ويمتد الى « كسكر » في واسط ، ثم يصب في البحر من جنوب « كاظمة » الواقعة جنوب [البصرة] بعد ان يمر بعدة مدن وقرى آهلة بالسكان ، ولم يبق اليوم لآثارها ، وبعد فتح القادسية أمر [سعد بن أبي وقاص] بتطهيره وكريه ، فسمي حينئذ [كرى سعد] وذهب عليه هذا الاسم حتى اليوم بزيادة هاء التأنيث ؛ ولا تزال آثاره باقية ؛ واكتافه مرتفعة ؛ وقد وقفنا عليه في الجزيرة المحدود اليوم بالفرات ودجلة ، وسمعته ناطقاً [تلك آثارنا تدل علينا]

ثم لاحظ معاليه هجرة أهل الريف الى المدن طلباً للارتزاق ، فبين علة ذلك هو قلة انتاج الزراعي ، وهناك سبب آخر هو سوء معاملة الملاك للفلاح ، فان الأول لم ينظر الثاني كعامل يستحق اجور عمله الذي جرح كفه ، واجهد قلبه ؛ وأرمض عينيه من رعاية الزرع طول ليله ، بل ينظرة كعبد لم يؤد واجب العبودية ؛ وعليه يجب أن يعاقبه أشد عقاباً وقد رأينا بعض الملاكين ؛ قد أنشأ له سجناً ، يعاقب فيه من لم يؤد الضريبة التي وضعها عليه سيده لخدمه وغلمانه .

وبين معاليه : إن الري اذا توسع نطاقه في العراق ، وعمرت الارض باقامة السداد ؛ وفتح القنوات ؛ تقل الهجرة لا بل تنقطع بتاتاً ، وان بانشاء السداد نحتفظ بمليون لترمن الماء العذب الصالح للزراعة ، يذهب الى البحر في الثانية الواحدة حسبما أكده [المستر وليم ويلكوكس]

النجف — يتبع — هادي العصامي

(١) يذهب على القارئ الكريم ان مجرى نهر الفرات اليوم غيره بالامس

أيها المشارك الكريم

تذكر ان بين يديك العدد [٢١] من مجلة البيان وهو يدعوك الى مساندته ومعاضدته بدفع بدل الاشتراك من طريق البريد لتكون بذلك قد ساهمت في رفع مستوى الأدب الصحيح وتركيز الصحافة الحرة في مثل هذه الظروف القاسية التي لايقوى على اجتيازها الاديب ما لم يجد امثالك سنداً يستند عليه وعماداً يطمئن اليه .